

الغموض في التعبير القرآني . إننا لا نملك في هذا المقام إلا أن نذعن لقول القرآن نفسه عندما ينص على أن من آياته محكما ومتشابهها . كما أننا لا نملك أيضا إلا أن نتلقى بالقول جهود علماء أصول الفقه عندما يتحدثون عن الدلالة القطعية والدلالة الظنية في القرآن ويحددون مراتب الوضوح من ظاهر ونص ومفسر ومؤول ، ومراتب الغموض من مجمل ومشكل ومتشابه .

وإذا لم يكن في دلالات التعبير ما يسمح بالتأويل والاجتهاد فلماذا إذن تعددت التفسير طوال خمسة عشر قرنا من الزمان .

إن العبارة القرآنية قدمت حلا أمثل لدرجات من التلقى تتفاوت تفاوتا عظيما ولكنها تلتقى جميعها على الإذعان لجمال النص وجلاله ولم يكن هناك بد من ذلك في نص كالقرآن يمكن تلاوته وإعادته في لحظة من الزمان أما طبقات المعنى في العبارة القرآنية فإنها تتجاوز حدود الزمان والمكان وهو ما يحدثنا عنه القرآن نفسه حين يقول : " ولو أن في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله " وقوله أيضا " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا " وعلى ذلك فالآية لا تتحدث عن المداد الذي نكتب به فالذي لا شك فيه أن القرآن من هذه الوجهة يمكن أن يخط على القرماس دون أن ينفد المداد ولكنها تتحدث عن طبقات من المعنى يتفاوت حظ البشر من الإحاطة بها وتلقيها واستبطان أسرارها وهنا يبرز دور اللغويات الحديثة وعلم الدلالة المتدرج الذين تحدث عنهما بيرك وينكشف النص عن وجوه الإعجاز التي لا يحيط بها عصر أو جيل بعينه . وإنما تصاحب الإنسانية في رحلتها من المبدأ إلى الميعاد . ولهذا كله أجدني متقفا مع أطروحة بيرك في هذا الصدد وأرى أنه يشكل تحديا يقربنا للاستجابة والمواجهة إذا كنا جريصين على تجلية أوجه الإعجاز في كتابنا العظيم : "القرآن الكريم" .

حين يقرر چاك بيرك من ذاته أو نقلا عن علماء الإسلام أن النص القرآني يتعدى الزمان والمكان فتلك حقيقة مؤكدة . والسبب الذي جعل منها حقيقة ولم يستطع بيرك أن يقبله أن القرآن خوطبت به البشرية كلها فهل يكون من المنطقي أن نصا على هذا